

جينالوجيا الخطاب الحجاجي بين الجاحظ وبييرلمان

د. زهور شتوح

جامعة باتنة-الجزائر

د. عبد الغني بن محمد دين

جامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه الإسلامية العالمية

drghani@unishams.edu.my

ملخص:

يحتل الحجاج موقعا بارزا في المدونة اللغوية ، بدءا بالمصنفات الأولى التي عملت على الحفر المعرفي في تحديد الجذر اللغوي ومعرفة دلالاته الوضعية، ولا يمكن إنكار ارتباط الحجاج بنهج البلاغة ، ولا غرو أن التخاطب الإنساني يستدعي التأثير والإقناع الذي يعتمد آلية بيانية فاعلة لتحقيقه ، وبهذا يعد الحجاج أحد ميزات هذا التخاطب بأشكاله المتنوعة بين الشفوية والكتابية. وتأتي هذه المقالة البحثية لتسليط الضوء على تقنيات الحجاج بين كل من : "الجاحظ" في "نظرية البيان" وبييرلمان" في نظرية البرهان ، هذه الأخيرة التي شكلت المنظور البلاغي المستحدث لتطور البحوث البلاغية ، وبه تم استحداث مصطلح "البلاغة الجديدة".

Abstract

Argumentation has instrumental function in human mind organization due to the impact of the dominant cultural structure Where prophet messages are structured on the idea of argumentation which would lead to construct and reform the human mind and there is no doubt that the human discourse requires the influence and persuasion, which is an effective mechanism to achieve it, this is one of the features of argumentation diverse forms of communication between the oral and written This article comes to shed light on the techniques of argumentation between each of: "Djahid" and " Perlman" in theory of demonstration , the latter of which formed the rhetorical perspective introduced to the development of rhetorical research, the term ' new rhetoric has been developed

**مقدمة:**

تعد الدراسات الحديثة في مجال الحجاج والمجاج امتدادا للموروث البلاغي القديم ، وتحولا لوجهته في الوقت نفسه فهو حقل معرفي أخذ من الموروث مادته الأولية ، وانطلق بها بعد ذلك إلى البحث والتجديد ، فاستخدام الحجاج كآلية بنائية بلاغية موجود منذ القديم منذ أرسطو مروراً بما نجد في تراثنا العربي الشعري ، والنثري من مناظرات وخطب سياسية ودينية وجدل .

والحجاج مرتبط بالخطاب ، وبالتالي فهو مرتبط باللغة والتواصل فأينما تكن اللغة يكون الحجاج ، وبهذا نجد الحجاج حاضرا في كل الخطابات ، حتى الكلام العادي ، الذي يدور بين شخصين في محاور عادية . يسعى كل منهما إلى إقناع الآخر بوجهة نظره أو رأيه ، وهو بذلك الفعل يحتاج لأن يحتاج باستخدام اللغة ، وبهذا يمكننا القول أم الحجاج هو عنصر داخل الخطاب وليس بخارج عنه ، فكل خطاب يقصد إلى الإقناع أو التواصل يحتاج إلى الحجاج باعتباره الآلية الأمثل التي تساعد على التواصل والإقناع وبالانطلاق من النظرة الشمولية للبلاغة ، باعتبارها العلم العام للخطابات ، يأتي دور توضيح كيفية تطبيق آلياتها المنهجية وجوانبها الإبتيمولوجية في تحليل الخطاب الإقناع ، امثالاً لمقولة إيفانوكس المشهورة أن النجاح الحالي للبلاغة قد اعتمد على العلاقة اللازمة بين البلاغة ودراسة وسائل الإقناع ، في مجتمع يتجه يوما بعد الآخر نحو علوم الدعاية والتحريض لاسيما مع تطور نظريات التواصل ، وقد أضحى الحجاج في خضم هذا التحول مطلباً شرعياً في كل عملية اتصالية تستدعي الافهام والإقناع .

**مفهوم الحجاج :**

من غير السهل تقديم تعريف مضبوط ودقيق للحجاج ، لكونه من المصطلحات ذات الاستعمالات المتعددة السياقات ، إذ تتعدد أشكال ظهوره ، ويستعمل مع أنواع الخطابات باختلاف مرجعياتها : الدينية ،

<sup>١</sup> \_ إيف جانري ، نظرية المحاجة . اكتشاف جديد وخصب، ت: محمد بيجانن، مجلة اللغة والأدب ، دار الحكمة، ع ١١ ،

اللغوية ، البلاغية ، الفلسفية ، القضائية ، وبهذا يصبح الحجاج بعدا من أبعاد الخطاب الانساني مكتوبا كان أو منطوقا .

### أ/ الحجاج لغة :

يشير ابن منظور في معجمه لسان العرب إلى الحجاج بقوله : « الحجة هي البرهان وقيل الحجة هي ما دافع به الخصم ، وقال الأزهري : الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة ، وحاجة محاجة وحجاجا نازعه الحجة ، وهو رجل محجاج أي جدل والتجاج التخاصم ، وجمع الحجة : حجج وحجاج ، حجه يحجه حجا غلبه حجته وفي الحديث : وحج آدم موسى أي غلبه بالحجة »<sup>٢</sup> .

يلاحظ من خلال المعنى اللغوي لكلمة حججاج بأنها مرادفة لكلمتي البرهان والدليل ، أما مضمونها يتراوح بين المعاني الآتية التخاصم والنزاع والجدل والغلبة وبهذا يتم الحجاج بين طرفين متخاصمين أو متنازعين وبالحجة يغلب أحدهما الطرف الآخر .

ويرى "حبيب أعراب" أن السبب الذي جعل هذه المفردات أي : الحجة ، الدليل ، البرهان ، ترد بمعنى واحد في القواميس العربية هو وجودها ضمن دائرة البيان والبلاغة الإقناعية<sup>٣</sup> .

وعليه فالحجاج يؤطره التفاعل بين طرفي الخطاب (المتكلم/ السامع) إن تبادلًا للتأثير حسب رضوان الرقيبي أو تناقلا للتغيير أو ترابطا وظيفيا أو حتى تجاوزا وجدانيا<sup>٤</sup> .

أما في اللغة الفرنسية فنجد لفظة "argument" تشير إلى عدة معانٍ متقاربة أبرزها حسب قاموس روبر le rober :

-القيام باستعمال الحجج .

<sup>٢</sup> ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر، بيروت\_لبنان، ط٢م، ٢٠٠٢، مادة (حجج)، ١٩٩٧، ص: ٢٨

<sup>٣</sup> حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي ، عناصر استقصاء نظري، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج ٣٠، ع ١، ٣٠ ديسمبر ٢٠٠١، ص: ١٠٩

<sup>٤</sup> رضوان الرقيبي، الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، ع ٢٤، م ٤٠، أكتوبر ديسمبر ٢٠١١، ص: ٧١

- مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة .

- فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة ما .

كما أن " arguenter " تشير إلى «الدفاع عن اعتراض أو أطروحة بواسطة حجج أو عرض وجهته نظر معارضة مصحوبة بحجج»<sup>٥</sup>

وفي اللغة الانجليزية جاء في قاموس كامبريدج (cambridge) أن "الحجاج هو الحجة التي تعلق أو تبرز مساندتك أو معارضتك لفكرة ما"<sup>٦</sup> ، أي أن الحجاج هو ما تؤيد به فكرتك أو موقفك إزاء موضوع معين إما إيجاباً أو سلباً .

ومن خلال إجراء مقارنة بين المعنى اللغوي للحجاج في اللغة العربية وبين مقابله في اللغتين الفرنسية والانجليزية نجد شبه تقارب بين المعنيين اللذين يتفقان كون الحجاج هو استعمال الحجة وتقديمها دفاعاً عن رأي أو موقف معين أو اعتراضاً عليه .

## ب / اصطلاحاً :

يتميز مصطلح الحجاج بالانسيابية ولم يعد من السهل بمكان تحديد المعنى الدقيق النهائي له ، وقد اندرج قديماً في ما يسمى بالبلاغة والخطابة وفن الاقناع ، وكثيراً ما نجد في الثقافتين الغربية والعربية بمعنى الجدل والتناظر والاقناع ، ولم يبق ذلك المصطلح المحصور في استعمالات خطابية ظرفية ، بل صار ملازماً لكل خطاب على وجه الاطلاق ، والسبب في ذلك «أن كل خطاب حال في اللغة تمنحه هذه الأخيرة العناصر الأولية والقاعدية لكل حجاج ، أي عناصر الاستدلال والتدليل»<sup>٧</sup> ، ولهذا نجد اختلافاً واضحاً في تعريفاته بين الباحثين وذلك بالنظر إلى كونه تتجاذبه مشارب علمية ومجالات معرفية عدة ، فلسفية ، منطقية ، بلاغية ، لسانية (تعليمية ، تداولية ) وحتى النفسية والاجتماعية ونظريات التواصل الحديثة ، وكل يتناول جانباً

<sup>٥</sup> \_ le Grand Robert , Dictionnaire de langue francais , 1<sup>er</sup> rédaction , paris, 1989, p: ٥٣٥

<sup>٦</sup> \_ Cambridge advanced learners, cambridge university press, 2<sup>eme</sup> pub, 2004, p: ٥٦

<sup>٧</sup> \_ حسن خميس الملخ، الحجاج في الدرس النحوي، مجلة عالم الفكر، ع٢، م٤٠، أكتوبر ديسمبر ٢٠١١، ص: ١٢٤

معينا من الحجاج حسب منطلقاته الفكرية وتطبيقاته المنهجية ، ويرجع "حبيب أعراب" هذا التعدد والاختلاف في دلالات الحجاج إلى العوامل التالية<sup>٨</sup> :

- تعدد مظاهر الحجاج وتنوعها ( الحجاج الصريح ، الحجاج الضمني ).
- تعدد استعمالات الحجاج وتباين مرجعياتها ، الخطابة ، الخطاب ، القضاء ، الفلسفة ، المنطق ، التعليم .
- خضوع الحجاج في دلالاته لما يميز ألفاظ اللغة الطبيعية من ليونة تداولية وكذلك تأويلات متجددة وطوعية استعمالية .
- للحجاج أبعاد الخطاب الانساني المتاح باللغة المكتوبة والمنطوقة .

ونجد أن المعنى الفلسفي قد بين وظيفة وشكل الحجاج في الدراسات الحديثة ، فهذا "آدم جون ميشال Adam Jean Michel" يرى أن «الخطاب الحجاجي موجه للتأثير على آراء وسلوكيات المخاطب أو المستمع وذلك بجعل أي قول مدعم صالحا أو مقبولا (النتيجة) ، وذلك بمختلف الوسائل ، بالنظر لقول آخر (الحجة-المعطاة-الأسباب) ، نقول على سبيل التعريف أن المعطاة-الحجة تهدف إلى إثبات أو نقض قضية»<sup>٩</sup> .

يتضح من خلال هذا التعريف الوظيفي ، الفرق بين الحجاج والبرهان ، فالحجاج يتميز بإمكانية نقض (دحض) قضية ، أما البرهان فهو لا ينقض لأن نتيجته يقينية وقطعية موضوعية كما أن الحجاج سمته الإضمار في غالب الأحيان ، أما البرهان فسمته الظهور .

<sup>٨</sup> \_ حبيب أعراب ، الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ، دراسات نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة، مجموعة من المؤلفين ، إشراف: حافظ اسماعيل علوي، دار الروافد الثقافية ، لبنان ، منشورات ابن النديم ، الجزائر، ط١، ٢٠١٣ ، ج٢ ، ص: ١٥٩-١٦٠

<sup>٩</sup> \_ الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل نموذجاً، مجلة اللغة والأدب ، دار الحكمة ، الجزائر، ع١٤٤ ، سبتمبر ١٩٩٩، ص: ٢٢٩

ويرى "طه عبد الرحمن" أن الحجاج هو «كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها بحسب القيمة التي تحملها»<sup>١٠</sup> ويتضح أن هذا التعريف يهتم بالجانب الكلي الذي يظهر به الحجاج أي «التلفظ ومن ثم الافهام ، لكنه لا يتجاوز ذلك إلى الغرض التداولي من الحجاج وهو تحصيل الإقناع»<sup>١١</sup>.

ويعد تعريف "ميشال ماير" من بين أكثر التعاريف تداولا للحجاج بين الدارسين وذلك لصبغته الوظيفية حيث يرى ميشال أن الحجاج «جهدا إقناعيا (إفهاميا) ، ويعتبر البعد الحجاجي بعدا جوهريا في اللغة لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه»<sup>١٢</sup>.

وبالتالي فالحجاج كامن في اللغة ، وغرضه الإقناع ، ولهذا يقوم المرسل باختيار أدواته اللغوية وآلياته الحجاجية ، مما يجعل الحجاج في صورته النهائية كما يقول محمد سالم : «ترجيح خيار من بين خيارات بواسطة أسلوب هو في ذاته عدول عن إمكانيات لغوية على أخرى يتوقع أنها أكثر نجاعة في مقام معين»<sup>١٣</sup> والملاحظ لمختلف التعاريف المقدمة للحجاج نجد أنها تتفق في أساسين هما :

الأساس الأول كونه خطابا إقناعيا ، أي أن هدفه التأثير في المتلقي إما لتدعيم موقفه وإما لتغيير رأيه وتبني موقف جديد<sup>١٤</sup> . وهذا التحديد لا يتعلق بالشكل اللغوي أو محتوى الخطاب ، ولكن بوظيفته الكلية ، فالنص الحجاجي لا يمكن أن يعرف من خلال خصائص شكلية لغوية ، إذ أنه يمكن أن يتواجد مع الوصف

---

<sup>١٠</sup> طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١٩٩٨، ص:٢٣١  
<sup>١١</sup> \_عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا/لبنان، ط١ ، مارس ٢٠٠٤، ص: ٤٥٦

<sup>١٢</sup> \_ Mayer michel, logique , langage et argumentation, édition , hachell, université , ١٩٨٢, ٢eme , paris,p :١٣٧

<sup>١٣</sup> \_محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيروان وتطورهم في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج٢٨، ع٣، مارس ٢٠٠٠، ص: ٧٢

<sup>١٤</sup> \_ كورنيليا فون راد صكوجي، الحجاج في المقام المدرسي، وحدة البحث في تحليل الخطاب ، منشورات كلية الآداب ، منوبة ، تونس، ٢٠٠٣، ص: ١٣

أو السرد أو مع الشعر وغيرها<sup>١٥</sup> الأساس الثاني كونه بعدا جوهريا في اللغة ذاتها ، مما ينتج عن ذلك أنه حينما وجد خطاب العقل ، واللغة فإن ثمة استراتيجية معينة نعمل إليها ، لغويا وعقليا ، إما لإقناع أنفسنا وإما لإقناع غيرنا ، وهذه الاستراتيجية هي الحجاج ذاته ، وهي تستمد خصوصيتها وقيمتها من الحقل الذي تتحقق فيه ، ويعطيها الشرعية ، وقد يكون هذا الحقل هو الحياة اليومية للناس وقيمهم ، أو يكون هو الفكر والتفكير من أبسط درجاته إلى أكثرها تعقيدا وتجريدا<sup>١٦</sup> .

### ضوابط النص الحجاجي :

يرى "عبد الهادي" أنه يمكننا تمييز النص الحجاجي من غيره بعدة ضوابط منها<sup>١٧</sup> :

- ١- أن يكون الحجاج ضمن إطار ثوابت مثل الثوابت الدينية والعرفية ، فليس كل شيء قابلا للحجاج .
- ٢- أن تكون دلالة الألفاظ محددة والمرجع الذي يحيل إليه محددًا بيد أن تفاوت التأويل يكسب الخطاب ثراء وغنى ولكن لا يكسبه دقة ونهاية .
- ٣- ألا يقع المرسل في التناقض في قوله أو فعله ، ويجب أن يكون الحجاج موافقا لما يقبله العمل ، وإلا بدأ زيف الخطاب ووهن الحجة .
- ٤- أين يكون الحجاج جامعا مشتركا بين المتحاجين لكي يحصل توافق بينهما في إمكانية قبول الحجج أو رفضها .
- ٥- ضرورة خلو الحجاج من الإيهام والمغالطة والابتعاد عنها .
- ٦- امتلاك المرسل لثقافة واسعة ، فبقدر ما يملك (المرسل) من ثقافة بقدر ما يملك من حجج .

### خصائص النص الحجاجي :

<sup>١٥</sup> \_المرجع نفسه، ص: ١٣

<sup>١٦</sup> \_ حبيب أعراب ، الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري، ص: ٩٩-١٠٠

<sup>١٧</sup> \_ ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب \_ مقارنة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت \_ لبنان ، ط١، ٢٠٠٤ ، ص: ٤٦٥-٤٦٦

تتمثل خصائص النص الحجاجي في القصد المعلن والاستدلال الواضح والأفكار المترابطة والبرهنة وقد جمعت في النقاط التالية<sup>١٨</sup> :

أ- القصد المعلن : وهو إحداه أثر ما في المتلقي (المرسل إليه) من خلال إقناعه بفكره معينة ، وهو ما يعبر عنه بالطريقة الإيحائية .

ب- التناغم : وهو توظيف التسلسل الذي يحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات سواء تعلق الأمر بالفتنة أو الانفعال ، وتكون له معرفة لنفسية المتلقي وقدراته ، ويتجلى كذلك في نصه سحر البيان وتأكيد فتنة الكلام ج- الاستدلال : وهو سياقه العقلي أي تطوره المنطقي ، فالنص الحجاجي قائم على البرهنة ، وإذا أعدنا الحجاج إلى أبسط صورته لوجدناه ترتيباً عقلياً للعناصر اللغوية، والتي بموجبها يستجيب المتلقي لنية الإقناع .  
د- البرهنة : إليها ترد الأمثلة والحجج وكل تقنيات الإقناع مروراً بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال ، وصولاً إلى أطف فكرة وأنفذها .

#### الحجاج في نظرية البيان عند الجاحظ :

شكل المنطق الحجاجي أساساً لبلاغة الجاحظ ضمن كتاباته المختلفة ، حيث نلمح بروز الجانب الحجاجي في ثنايا كتبه<sup>١٩</sup> ، إذ نجد في رسائله بمختلف أصنافها : الأدبية ، والكلامية ، والسياسية ، ممارسة حجائية حقيقية ، حيث عرض فيها موضوعات متنوعة تخص المجتمع العربي ، حاول الجاحظ عبرها الدفاع عن مواقفه وآرائه عن طريق توظيفه لقالب الرسالة وبنيتها الحجاجية في محاججته العقلية ، التي يسعى فيها إلى إقناع المتلقي بتبني وجهة نظره<sup>٢٠</sup> ويعد كتاب "البيان والتبيين" أبرز مصنف أرسى فيه الجاحظ معالم

<sup>١٨</sup> \_\_ للاستزادة يمكن العودة إلى المرجع السابق، ص: ٢٦، ٢٧

<sup>١٩</sup> \_\_ محمد مشبال، البلاغة والسرد جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الملك السعودي، تطوان، المغرب، ط١، ٢٠١٠، ص: ١٣٨

<sup>٢٠</sup> \_\_ ينظر: علي بوملحم، رسائل الجاحظ، الرسائل السياسية، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩١، ص: ٣٨٠

الحجاج الخطيبي ، عن طريق طرحه للآليات التواصلية والتقنيات الخطابية التي تمكن الخطيب المتكلم من التواصل الجيد مع مستمعه ، ومن ثم إقناعه .

وقد تناول الجاحظ استراتيجية الإقناع في كتابه البيان والتبيين حيث أشار إلى الخصائص النفسية للخطيب باستشهاده بما ورد في صحيفة بشر بن المعتمر يقول فيها : «خذ من نفسك ساعة نشاطك و فراغ بالك وإجابتها إياك ، فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهرها وأشرف حسبا وأحسن في الأسماع وأحلى في الصدور ، وأسلم من فاحش الخطاء وأجلب لكل عين وعزة من لفظ شريف ومعنى بديع ، واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمطاولة والمجاهدة ، وبالتكلف والمعاناة»<sup>٢١</sup> ولم يكتف الجاحظ بذلك بل حاول ربط مفهومي البيان والبلاغة بالطبيعة النفسية للخطيب وهو ما يتعلق بالحجاج فيقول : «أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة ، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متغير اللفظ ، لا يكلم سيد الأمة ولا الملوك بكلام السوقة ، ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة»<sup>٢٢</sup>

ويتضح من خلال النص أن الغاية القصوى عند الجاحظ هي الخطاب الإقناعي الشفوي ، وهو إقناع تقدم فيه الغاية (الإقناع) على الوسيلة (اللغة) وتحدد الأولى طبيعة الثانية وشكلها حسب المقامات والأقوال ، كما يستشهد أيضا بخطابات من أقوال العرب سواء في النثر أو الشعر ، فهذه يتعامل مع كل جنس وصفه خطابا ، ويتحفظ بكل جنس بخصائصه التي تميزه على مستوى الشكل ، وهذه من مزاياه النادرة ، فمفهوم الخطاب الإقناعي لا يقتصر على جنس بعينه<sup>٢٣</sup> .

<sup>٢١</sup> \_ الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر) البيان والتبيين، وضع حواشيه موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية ، لبنان ،

مج ٢\_١ ط ٢، ٢٠٠٣، ص: ٩٨\_٩٩

<sup>٢٢</sup> \_ المرجع نفسه، مج ٢\_١، ص: ٧١

<sup>٢٣</sup> \_ عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب \_ مقارنة لغوية تداولية، ص: ٤٤٨\_٤٤٩

كما ورد في الصحيفة نص آخر ، يتحدث فيه "ابن المعتمر" عن أقدار السامعين ومراعاة أقوالهم ، يقول فيه «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ، ولكل حالة من ذلك مقاما ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات»<sup>٢٤</sup> وقد دعم هذه الفكرة أبو هلال العسكري «وأحسن الذي قال : لكل مقام مقال»<sup>٢٥</sup> فتحقيق التواصل الجيد بين المتكلم والمخاطب هو الغاية من مراعاة المقام ، «لأن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس ، كما يفهم السوقي رطانة السوقي»<sup>٢٦</sup> والهدف الأسمى من المراعاة هو الفهم والإفهام .

#### والبلاغة عند الجاحظ تنقسمها ثلاثة معان أساسية<sup>٢٧</sup> :

**الأول :** هو الانتهاء إلى الغاية في التبيين والإفهام بأسلوب عال يقول متحدثنا عن العرب : «وهم وإن كانوا يحبون البيان والطلاقة والتعبير والبلاغة والتخلص والرشاقة ، فإنهم كانوا يكرهون السلاطة والهذر والتكلف والاسهاب»<sup>٢٨</sup>

**أما الثاني :** فهو الكلام البليغ نفسه ، بما يتضمن من أصناف وأجناس ، وهو ما يستدل له الجاحظ بقوله : «ونحن -أبقاك الله- إذا ادعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد والارجاز ، ومن المنثور والأسجاع ، ومن المزدوج ومالا يزدوج»<sup>٢٩</sup>

<sup>٢٤</sup> \_ الجاحظ، البيان والتبيين، مج ١-٢، ص: ١٠٠

<sup>٢٥</sup> \_العسكري، كتاب الصناعتين، ص: ٢٧

<sup>٢٦</sup> \_ الجاحظ، البيان والتبيين، مج ١-٢، ص: ١٠٤

\_ محمد هيثم غزة، البلاغة عند المعتزلة، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة دمشق، ١٩٩٣، ص: ٨٥ <sup>٢٧</sup>

<sup>٢٨</sup> \_: الجاحظ، البيان والتبيين، مج ١-٢، ص: ١٩١

<sup>٢٩</sup> \_ المرجع نفسه: ٣، ص: ٢٩

أما المعنى الثالث فهو حسن الكلام وجودته ، ووضوح معناه وسهولته ، إذ يعقب الجاحظ على قول القاضي "يحيى بن يعمر" وقد شكت إليه امرأة زوجها «أأن سألتك ثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضلها» فيقول: «فإن كانوا إنما رووا هذا الكلام لأنه يدل على فصاحة فقد باعده الله من صفة البلاغة والفصاحة ، ولو خاطب بقوله الأصمعي لظننت أنه سيجهل بعض ذلك»<sup>٣٠</sup>

وورد في "البيان والتبيين" قول الجاحظ «حدثني صديق لي قال : قلت للعتابي : ما البلاغة ؟ قال : كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسه ولا استعانة فهو بليغ ، فإن أردت اللسان الذي يروق الألسنة ويفوق كل خطيب ، فإظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق ، قال : فقلت له : قد عرفت الإعادة والحبسة ، فما الاستعانة ؟ قال : أما تراه إذا تحدث قال عند مقاطع كلامه : يا هناءه ويا هذا ويا هيه ، واسمع مني ، واستمع إلي ، وأفهم عني ، أو لست تفهم ، أو لست تعقل ، فهذا كله وما أشبهه عي وفساد»<sup>٣١</sup>

إن الملاحظ من خلال نص الجاحظ أن البلاغة مشروطة بالفهم أولاً إذ هو أساسها عند من تحدثوا عن مفهوميها واشتغلوا بها ، ثم بخلوص الكلام ومستوى الافهام ، وبالتالي فالجاحظ حسب حمادي صمود : «ينتقل من إقامة التواصل وتحقيق الفهم والافهام إلى الوعي بأهمية الوسائل ومسالك الأداء»

أما سؤال العتابي «فإن أردت اللسان الذي يروق الألسنة ويفوق كل خطيب» ثم إعطاء الحجة "فإظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق" يعني أن الفهم والافهام يجري إليه كل من السامع والمتكلم ، المتكلم من خلال اختياره الكلام وموافقته للحال والمقام ، والسامع بحسن إصغائه ومدوامة إنصاته ، وما تصوير الباطل في صورة الحق إلا مجاز يراد به القدرة البيانية ، والمعجزة البلاغية.

<sup>٣٠</sup> \_المرجع نفسه، ١/ ٣٧٨-٣٧٩

\_ الجاحظ، البيان والتبيين، ١/ ١١٣ <sup>٣١</sup>

وفي كتاب "البيان والتبيين" نجد الجاحظ يعرف البيان بقوله «والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصله كائنا ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان ذلك الدليل ، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع»<sup>٣٢</sup> ونجد محمد العمري في كتابه "البلاغة العربية أصولها وامتداداتها" يخلص من كلام الجاحظ إلى أن «مفهوم البيان عند الجاحظ مفهوم إجرائي : أي أنه العملية الموصلة إلى الفهم والإفهام بالوسائل المختلفة : الوسائل اللغوية والإشارية خاصة»<sup>٣٣</sup>

وخلاصة القول : يقتزن البيان في تصور الجاحظ بالبعد الحجاجي وذلك من خلال زاوية الخطاب أو القول حيث يؤدي هذا الأخير وظيفتين يتجلى ضمنهما الطابع الحجاجي : وهما : الإفهام والإقناع

البيان معرفة = الوظيفة الإفهامية .

البيان إقناع = الوظيفة الإقناعية<sup>٣٤</sup>

أ- وظيفة الإفهام :

يعد الإفهام عند الجاحظ غاية أساسية للكلام أو الخطاب ، يسعى المتكلم للوصول إليها وقوله : "لأن مدار الغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام ، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع " يفيد بأن البيان يحمل بعدا إجرائيا تداوليا يتمثل في الإفهام أي إفهام السامع واقناعه<sup>٣٥</sup> . لأن المتكلم حين يتكلم فهو يروم في كلامه تحقيق قصدتين : الأولى أن يتواصل مع

<sup>٣٢</sup> \_ المرجع نفسه، ١ / ٧٦

<sup>٣٣</sup> \_ محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب \_ لبنان، د، ط، ١٩٩٩، ص: ١٩١

<sup>٣٤</sup> \_ المرجع نفسه، ص: و ١٩٤

<sup>٣٥</sup> \_ محمد عابد الجابري، نقد العقل العربي (٢) بنية العقل العربي \_ دراسة تحليلية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت \_ لبنان، ط، ٩، ٢٠٠٩، ص: ٢٥

غيره ، والثاني إفهامه<sup>٣٦</sup> ، وبناء عليه فإن الأنجاز الكلامي لا يكون عبثيا بل يرتبط بمقاصد وغايات تمثل الحبل (الرابط) الذي يصل المتكلم بالسامع ، مما يعني أن الكلام يقوم في الحقيقة على مفهوم الوظيفة التي تعد شرطا لأي تبليغ لغوي<sup>٣٧</sup> ومن هذا المنطلق ركز الجاحظ على وظيفة الافهام ضمن كتابه البيان والتبيين والتي يراد بها إيضاح المعنى القائم في النفس حتى يدركه الآخر<sup>٣٨</sup>

## ب- وظيفة الاقناع :

وردت العديد من النصوص في كتاب "البيان والتبيين" حول موضوع الاقناع حيث نجد مثلا يستحضر النص القرآني وقصصه من قبيل قصة موسى مع فرعون حين استبد به الخوف والتهيب من لقائه ، فالتمس من ربه التأييد بالقول المقنع الذي به يحصل التصديق<sup>٣٩</sup> ، فقال «وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني»<sup>٤٠</sup> وقال «ويضيق صدري ولا ينطق لساني»<sup>٤١</sup> ويعلق الجاحظ قائلا : «رغبة منه في غاية الافصاح بالحجة ، والمبالغة في وضوح الدلالة ، لتكون الأعناق إليه أميل ، والعقول عنه أفهم ، والنفوس إليه أسرع» وبهذا فالكلام المؤثر المقنع سلطانا على النفوس ، إذ من خلاله يتحقق التأثير في المخاطب ، وقد كان الجاحظ على وعي ودراية بأهمية القول المقنع في إيقاع التصديق والاقناع ، حيث نراه يورد شواهد منقولة عن جهابذة الألفاظ تبين أثر القول المقنع في الابانة عن المعاني وتقريبها إلى الأذهان أو تحقيق الاستمالة يقول «قال بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني : المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم» مستورة خفية ، لا يعرف الانسان ضمير صاحبه ، ولا حاجة أخيه وخليطه ... إنما يجي تلك المعاني ذكرهم لها ، وإخبارهم عندها ، واستعمالهم إيها ، وهذه الخصال هي التي تقرها من الفهم ، وتجليها

<sup>٣٦</sup> طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي \_ المغرب ، ط١، ١٩٩٨، ص: ٢١٤

<sup>٣٧</sup> عبد اللطيف عادل، بلاغة الاقناع في المناظرة ، منشورات ضفاف ، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٣، ص: ٦٣

<sup>٣٨</sup> \_ محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ،: ١٩٤

<sup>٣٩</sup> \_ عبد اللطيف عادل، بلاغة الاقناع في المناظرة ، ص: ٦٤

<sup>٤٠</sup> \_سورة القصص، الآية: ٣٤

<sup>٤١</sup> \_سورة الشعراء، الآية: ١٣

للعقل ، وتجعل الخفي منها ظاهرا، والغائب شاهدا ، و البعيد قريبا»<sup>٤٢</sup> ، يتضح من كلام "الجاحظ" أن وظيفة اللغة الأساس هي الكشف عما في الصدور ، وهذا من خلال الإخبار والإفصاح ، وذلك يكون بغرض تقريب الفهم وإظهار الخفي، وإحضار الغائب وإدناء البعيد<sup>٤٣</sup>، ومن ثم الوصول إلى الإقناع ، وهذه هي الغاية التي يسعى المتكلم لتحقيقها ، وفي هذا الشأن قدم "محمد العمري" جدولاً وضع فيه الوظيفة الإقناعية للبيان، من خلال رصده لجملة من المؤهلات والصفات المؤثرة فيها ، وذلك انطلاقاً من شواهد الجاحظ ، على النحو الآتي :

المؤهلات والعوائق	صفات البيان وموضوعه	الغرض
المؤهلات	الصفات	التأثير
المنطق	الإبلاغ	استمالة القلوب
الأحلام	الإبانة	تشبي الأعناق
العقول	الإفصاح	التصديق
الدهاء	الفصاحة	ميل الأعناق
المكر	الوضوح	فهم العقول
الألسنة	الصحة	إسراع النفوس
النكراء	البيان	الاستمالة
التمييز	حسن التفصيل	الاضطرار
السياسة	الإيضاح	التحريك
لباس التقوى	وضوح الدلالة	حل الحبوقة

<sup>٤٢</sup> الجاحظ ، البيان والتبيين، ١/٧٥

<sup>٤٣</sup> ينظر: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، : ١٩٤

إن هذه المؤهلات التي رصدها "الجاحظ" تعدو وسائل موجهة للاقناع استمالة أو اضطراباً<sup>٤٤</sup> ، ومن هذا المنطلق حدد "العمرى" جملة الأغراض الإقناعية التي يحققها "القول البيان" من منظور "الجاحظ" في الآتي « استمالة القلوب ، وثني الأعناق و التصديق وفهم العقول وإسراع النفوس والاستمالة والاضطرار وحل الحيرة»<sup>٤٥</sup>

وبهذا نخلص إلى أن الوظيفة الإقناعية أكثر بروزاً وهيمنة في كتاب "البيان والتبيين" وعلى هذا الأساس سعى "الجاحظ" إلى الوقوف على القول أو الخطاب البياني المقنع وذلك ضمن استراتيجية تبدأ من العناية بمرحلة الإرسال الجيد إلى مرحلة الإستجابة ( الإقناع).

### الحجاج في نظرية البرهان لـ: "بيрман"

دفع التركيز على الجانب الجمالي على حساب الجانب الحجاجي في الدرس البلاغي طائفة من البلاغيين المعاصرين إلى محاولة إعادة قراءة الموروث البلاغي بغية رد الاعتبار للركن الحجاجي ، وإعادة بعثه من جديد على يد مجموعة من الباحثين كـ: "رولان بارت" و "جيرار جنيت" و "تريفيتان تودوروف" إلا أن الثورة البلاغية الحقيقية هي التي قادها "بيрман"<sup>\*</sup> في مجال البلاغة بنظريته الحجاجية أو البلاغة الجديدة، والتي جعلت منه قطبا بلاغيا بارزا ورائدا للدراسات البلاغية ، وهذا "ميشال ماير" ينوه بجهد قائلًا: « إن الثورة الكبرى في البلاغة خلال هذا القرن قد أنجزها سواء سلمنا بذلك أم لا ... هناك طريقة جديدة لفهم البلاغة وطبيعتها

<sup>٤٤</sup> \_ المرجع نفسه، ص: ١٩٩

<sup>٤٥</sup> \_ المرجع نفسه، ص: ١٩٨

<sup>\*</sup> \_ ولد "شايم بيرلمان" (chaim perelmann) سنة ١٩١٢ بفارسوفيا (وارسو) ، ثم هاجر إلى بلجيكا سنة ١٩٢٥ ، شغل منصب أستاذ للمنطق والأخلاق والميتافيزيقا بجامعة بروكسل الحرة، له العديد من المؤلفات كـ: "امبراطورية الخطابة"، و"مصنف في الحجاج - الخطابة الجديدة- الذي شاركه فيه "أولبرخت تتيكا" و"الخطابة والفلسفة" كذلك بالاشتراك مع "تتيكا" ، و"القانون والأخلاق والفلسفة"، "حقل الحجاج" ، توفي "بيрман" سنة ١٩٨٤ ، للاطلاع أكثر يمكن العودة إلى كتاب: "نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان ، للحسين بنو هاشم، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان\_

بيروت، ط٢٠١٤، ص: ٢٧

ودورها ، إن آثاره ستقرأ خلال القرون المستقبلية كما يقرأ "شيشرون" و "كينتيليان" ، في حين أن بلاغيين آخرين ... سيلتحقون بغيار البيبليوغرافيا العاملة التي لا تثير في أحسن الأحوال إلا اهتمام المختصين الأكثر تخصصاً<sup>٤٦</sup> ، وبهذا يعود الفضل لـ: "بيрман" في نهضة البلاغة ، وانبعثت مبحث الحجاج ضمنها من جديد، ويؤكد "بروطون" ريادة "بيрман" لنظرية الحجاج بقوله: «إننا مدينون لبيрман في انبعثت اهتمام حقيقي بالحجاج»<sup>٤٧</sup>.

وقد رسم "بيрман" حدود مشروعه البلاغي عن طريق ضبط موضوع الحجاج وهدفه ، فبالنسبة للموضوع : يهتم الحجاج بدراسة « تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم»<sup>٤٨</sup> ، أما الهدف منه فهو كما يقول "بيрман": « جعل العقول تدعن لما يطرح عليها أو زيادة درجة ذلك الإذعان»<sup>٤٩</sup> ، مما يعني أن غاية الحجاج هي إقناع المتلقي واستمالاته ، ويستدعي ذلك وجود جملة من المقومات والتقنيات والمسلمات التي يكون فيها مجال البحث المعقول والمحتمل بعيداً عن الحسابات الدقيقة والالزامات الصارمة للعلوم التجريبية والعقلية.

إن هدف الحجاج حسب "بيрман" هو « دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للفروض التي تقدم لهم ، أو تعزيز هذا التأييد على تنوع كثافته»<sup>٥٠</sup>، كما يعرف "بيрман وتيتيكاه" في "مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة" الحجاج بقولهما أنه « جملة الأساليب التي تضطلع في الخطاب بوظيفة حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الإقناع لغاية أساسية هي الفعل في المتلقي على

<sup>٤٦</sup> \_ Michel Mayer, histoire de la rhétorique des grecs à nos jour livre de poche ,paris, ١٩٩٩,pp:٢٥٩\_٢٦٠

<sup>٤٧</sup> \_ فيليب بروطون، الحجاج في التواصل، تر: محمد مشبال وعبد الواحد التهامي العلمي ، المركز القومي للترجمة، مصر، ط١، ٢٠١٣، ص: ٢٣

<sup>٤٨</sup> \_ ch . perlman, traité de l'argumentaion, lucie olbrechts\_ tyteca, ed de l'universite de bruxelles ,éd ٦,٢٠٠٨, p :٥

<sup>٤٩</sup> \_ ibid,p :٥٩

<sup>٥٠</sup> \_ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ، صفر ١٤١٣ أغسطس / آب ١٩٩٢، ص:

نحو يدفعه إلى العمل أو يهيؤه للقيام بالعمل»<sup>٥١</sup> ، وهذا يؤكد وظيفة "الحجاج" كما يراها "بيрман" وهي جعل العقول تدعن لما يطرح عليها من أفكار أو تزيد في درجة الإذعان ما يؤثر على المتلقي تأثيرا قويا يدفعه للقيام بالعمل المطلوب ، سواء من ناحية إنجازها أو الامسك عنه أو على الأقل يهيؤه لذلك العمل في اللحظة المناسبة<sup>٥٢</sup> ، مما يعني أن "الحجاج" يدفع إلى "التأثير ثم العمل" « وهذا التأثير ناتج من خلال استخدام العقل والإدراك لما يحيط بالمتلقي من حجج . أي تأثير ناتج من إرادته وليس تأثيرا ناتجا من الإجماع أو المناورة كما عند السفسطائيين »<sup>٥٣</sup>.

ويرتبط الإقناع بالخطابة ، وهذا ما يجعل الحجاج يقترب من الخطابة لكنه يختلف عنها أي يأخذ منها الإقناع كما يوضح ذلك "بيрман وتتيكاه" : « الغاية من تقربنا بين الحجاج والخطابة أن نلح على أنه لا حجاج دون وجود جمهور يرمي الخطاب إلى جعله يقتنع ويصدق على ما يعرض عليه »<sup>٥٤</sup> وتتأكد فاعلية الخطاب ونفاذيته بحصول الفعل التأثيري ونجاحه ، وهو الفعل الناتج [ المنجز أو لازم فعل الكلام ] الذي تقدم به "أوستين" Austin ويقصد بنفاذية الخطاب جملة « التقنيات المعرفية والفكرية وكذا الاجتماعية التي يسعى من خلالها إلى تمرير الخطاب واجتياز الأطر القولية والسمعية إلى الفعل والحدث والتغيير »<sup>٥٥</sup> ، وهو ما

---

٥١\_ بيрман وتتيكاه، مصنف في الحجاج ، الخطابة الجديدة، ليون فرنسا، ج١ ، ١٩٨١، ص: ٩٢ نقلا عن : سامية الدريدي، الحجاج في الشعر القديم من الجاهلية إلى القرن الثالث الهجري، عالم الكتب الحديث ، الأردن، ط ١ ، ٢٠٠٧، ص: ٢١

٥٢\_ محمد ولد الأمين، حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، طرابلس ، المركز العالمي لدراسات أبحاث الكتاب الأخضر، ط١ ، ٢٠٠٤ ، ص: ١٥

٥٣\_ نعيمة يعمران، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري ، ٢٠١١-٢٠١٢ ، ص: ٢١

٥٤\_ عبد الله صولة ، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال : مصنف في الحجاج \_ الخطابة الجديدة لبيрман وتتيكا ، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد العربية من أرسطو إلى اليوم، ص: ٣٠٦

٥٥\_ محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيрман وتطوره في البلاغة المعاصرة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ص: ٦٣

حمل "بيрман" بأن يطلق مصطلح "الخطابة الجديدة" the new rhetoric عام ١٩٥٨ وهي دراسة تتناول الحجاج بوصفه خطابة تستهدف استمالة عقل المتلقي، والتأثير في سلوكه ، وبهذا يتخذ الحجاج مفهوميين:

### المفهوم الأول :

طريقة تحليل واستدلال ، تقصد تقديم مبررات مقبولة للتأثير في الاعتقاد والسلوك.

المفهوم الثاني: عملية اتصالية يستخدم فيها المنطق logic للتأثير في الآخرين، وذلك يجعل أي قول مدعما صالحا أو مقبولا وذلك بمختلف الوسائل بالنظر لقول آخر: « الحجة، المعطاة، الأسباب، نقول على سبيل التعريف أن المعطاة ، الحجة تهدف إلى إثبات أو نقض قضية» ، وبهذا يصبح الحجاج سمة في الخطاب وطابعا فيه ووظيفة له ووسيلة لتحقيق هدفه، وهذا الشيء الذي أدى بالبلاغة الجديدة للاهتمام بالحجاج.

### مقومات الحجاج لدى "بيрман":

تأسس العملية الحجاجية التخاطبية لدى "بيрман" على ثلاثة ركائز هي : المتكلم، المستمع، الخطاب، ولكل منها دوره ومكانته في عملية الاقناع، وهو ما يؤكد "بيрман" بقوله: « بما أن الغاية من الحجاج هي إثارة مستمع ما واستمالاته نحو الأطروحات المراد تركيتها، أو زيادة التركية وليس استنباط النتائج من بعض المقدمات، فإنها لا تدور في فراغ ، إنما تقتضي تماس فكري الخطيب والمستمع، ينبغي للخطاب أن يكون مسموعا، ولكتاب ما أن يكون مقروء ، إذ بدون هذا يغدو تأثيرها صفرا»<sup>٥٦</sup> ، ويتضح من مقولة "بيрман" أن استمالة المستمع الذي يعد أحد أركان العملية الحجاجية هو هدف الحجاج ، ولذلك يتوجب على المتكلم ( المرسل) سواء أكان خطيبا ( الخطاب الشفوي) أو كاتبا ( الخطاب المكتوب) العناية بالمتلقي ( المرسل إليه) ، وذلك بأخذ أفكاره ومشاعره وأحواله بعين الاعتبار<sup>٥٧</sup> ، وإضافة إلى ذلك لا بد أن يكون كلامه

<sup>٥٦</sup> \_ ch , perlman, lempire, rhétorique, p : ٢٣

<sup>٥٧</sup> \_ محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيрман وتطوره في البلاغة المعاصرة ،ص: ٨٦

واضحاً ومسموعاً لدى المخاطب ، أو مقروءاً حتى يتحقق الأثر المرغوب فيه، لأن فعالية الحجاج حسب "بيрман" تقتضي: « تكيف الخطيب مع مستمعه ، إذ أن كل شيء في الحجاج مرتبط به»<sup>٥٨</sup>، وبهذا نجد المستمع يختلف هو محور نظرية "بيрман" البلاغية وأحد أهم مقوماتها .

وهذا المستمع يختلف حسب المقام، وعلى هذا الأساس ، تحدد النظرية الحجاجية هوية المستمع بـ: « مجموع أولئك الذين يريد الخطيب التأثير فيهم ، أي أنه يمثل مجموع الصفات الجوهرية»<sup>٥٩</sup>، وهذا المجموع قابل للتغير ، ويتغير المتلقي تبعاً لتعدد المقامات واختلاف الظروف فيصبح الحجاج « عرضة للتغير والتحوير في بنائه وأنساقه التي يقوم عليها ، وذلك تبعاً لتغير المقام وتغير ظروف المحاجج، حتى وإن ظل النقاش ذاته»<sup>٦٠</sup>.

ويعد حوار الخطيب مع الفرد المستمع والتعرف على ميولاته واستجاباته أحد أهم العوامل التي تساعد على التأثير والاقناع ويرى "بيрман" أن : « الخطيب الذي لا يلتفت إلى مطالب المستمع هو شخص أناني أو أنه لا يتحدث إلا مع نفسه ، ويتنصت إلى هلاوسه ، هذا الشرط أساسي بالنسبة إلى ذلك الذي يسعى إلى التمكن من المستمع ، وجعله يتصرف وفق ما نرغب فيه»<sup>٦١</sup>.

ويركز "بيрман" على فكرة مفادها أن معرفة المستمع ضرورية لتهيئة أرضية الإقناع وبما يكون على دراية بمعرفة مقام مخاطبيه ومستوياتهم المختلفة ( الاجتماعية/السياسية/ الفكرية) ، ولهذا نجد اختلاف الخطابات بناء على وضعية المستمع ، فنجد مثلاً خطاب المتخصصين ( الفيزيائيين والمؤرخين مثلاً) موضوعه متخصص لأنه موجه إلى فئة المتخصصين ، وهو يختلف كما يقول "بيрман" « عن الخطاب الجدلي المرتكز على الأسئلة

<sup>٥٨</sup> \_ الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند بيрман، ص: ٣٨

<sup>٥٩</sup> \_ محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، منشورات دار الأمان ، الرباط، المغرب، ط ١، ٢٠٠٥، ص:

٣٦٨

<sup>٦٠</sup> \_ محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيрман وتطوره في البلاغة المعاصرة، ص: ٦١

<sup>٦١</sup> \_ ch , perlman, lempire, rhétorique, p: ٢٩

والأجوبة والذي يكون متعارضاً مع الثوابت العلمية»<sup>٦٢</sup>، ويمثل "بيрман" لذلك بالخطاب الديني مثلاً، حيث يلجأ الراهب فيه إلى عرض جملة من الأطروحات التي يسلم بها المخاطب الكوني، حيث يقسم بيрман المستمع ( المرسل إليه) إلى قسمين<sup>٦٣</sup> :

١\_ مستمع خاص l'auditoire spéciale له خطابه الخاص ← خطاب إيقاني

٢\_ مستمع كوني universel l'auditoire له خصوصية أيضاً في الخطاب ← خطاب إقناعي.

يقول "محمد الولي" عن فكرة تقسيم "بيрман" بين الخطابات التي تهدف إلى الإقناع أو الإيقان « إن التمييز بين الخطابات المتوجهة إلى بعض الناس والخطابات المتوجهة إلى كل الناس، يسمح بالفهم الجيد لما يعارض بين الخطاب الإقناعي والخطاب الموقن»<sup>٦٤</sup>، وبهذا يمكننا القول: أن المتلقي عند "بيрман" هو محور الحجاج، ويتجلى ذلك في انتقاء مقدمات الحجاج، وترتيب الحجج وتكييفها مع حال المتلقي، ولهذا يوصف المتلقي حسب "الحسين بنو هاشم" بأنه « فاعل نشيط لا يستقر على حال ومعرفته تغدو ضرورية للمتكلم إذا رام تحقيق الاقتناع والتأثير»<sup>٦٥</sup>

### الحجاج والبلاغة عند "بيрман":

إن البلاغة مجالها التعبير وأساليبه، وهو المجال نفسه الذي يتخذ منه الحجاج أدواته وتقنياته ليصبح أحد مباحث البلاغة الجديدة من خلال استعماله الأساليب والأدوات البلاغية كوسائل إقناعية، وذلك من أجل التأثير وإحداث الإقناع لدى المتلقي ( المستمع/ المرسل إليه) وحثه على الإذعان، على أن أهم فكرة تتقاطع فيها البلاغة القديمة والجديدة هي فكرة المستمع، فكلاهما حسب "نعمان بوقرة" يعتبر المستمع هو محور

<sup>٦٢</sup> \_ibid,p :٢٩\_٣٠

<sup>٦٣</sup> \_ ينظر: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند بيрман،ص: ٣٦

<sup>٦٤</sup> \_ محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية،ص: ٣٧٠

<sup>٦٥</sup> \_ ينظر: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند بيрман،ص: ٣٧

العملية التواصلية، وهدفهما أولاً وأخيراً إقناع المستمع باستعمال نفس الأدوات والوسائل<sup>٦٦</sup> وبهذا أصبحت البلاغة الجديدة هي « البحث عن الوسائل والآليات التي تجعل من الخطاب خطاباً مقنعاً» بعد ما كانت " فن الإقناع مطلقاً" .

لقد أصبحت البلاغة بفضل جهود "بيрман" تهتم بدراسة كل التقنيات التي تجعل من الكلام مقنعاً، ويعتمد في بنائه على الحجاج كأساس في التعبير والخطاب من أجل التأثير على المتلقي ، ويصل "بيрман" إلى القول أنه لا يوجد أدب دون بلاغة ، هذه البلاغة التي يقصدها ليست فن التعبير ، ولكن كيفية توظيف أدوات ذلك الفن في التأثير ، فقيمتها أو حجاجيتها تكمن في كيفية استخدامها ونجاعتها في قدرتها على الإقناع والتأثير<sup>٦٧</sup> .

وبذلك تظل حاجة البلاغة إلى عناصر الحجاج بالدرجة نفسها حاجته إليها، وذلك بسبب أن الحجاج يحتاج إلى الأساليب البلاغية في التعبير، والبلاغة بدورها تحتاج إلى عناصر الحجاج للاستدلال والإقناع ، فالبلاغة يمكنها أن تؤثر وتستميل وتمتع ولكنها لا تقنع وتفحم، أما إذا تلاحت مع الحجاج والمحاجة فيمكنها حينذاك أن تقنع وتفحم وتؤثر وتستميل وتمتع في الآن ذاته<sup>٦٨</sup> .

وبهذا يمكننا تحديد مفهوم الحجاج عند "بيрман" بوصفه بلاغة جديدة لها أسسها وقواعدها التي تميزها عن البلاغة القديمة، وهذا المفهوم يمكن تحديده من خلال الجوانب التالية:

### أ\_ المكونات:

<sup>٦٦</sup> \_نعمان بوقرة، نظرية الحجاج، مجلة الموقف الأدبي، ع: ٧٠٧، دمشق ٢٠٠٥

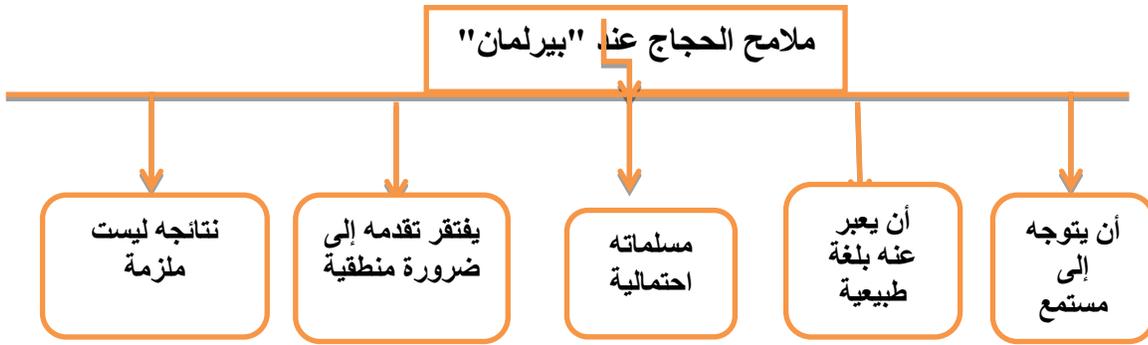
<sup>٦٧</sup> \_صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: ٩٧

<sup>٦٨</sup> \_حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص: ١١٠

مكونات الحجاج أو عناصره عند "بيрман" هي المتكلم والمستمع والمقام بالاضافة إلى الخطاب بوصفه المادة التي يترجم فيها المتكلم مقاصده وأغراضه ، هذه العناصر تندمج مع بعضها البعض كمكونات لهذا الخطاب ، وتتفاعل مع بعض لتحقيق النجاعة والتواصل في العملية الحجاجية .

### ب\_ الملامح:

تتلخص ملامح الحجاج عند "بيрман" في خمسة ملامح رئيسية يمكن أن تمثل لها بالمنخطط التالي:<sup>٦٩</sup>



### ج\_ الأساليب والتقنيات:

وتتلخص في كل الوسائل اللغوية والبلاغية والمنطقية التي يتوصل بها الخطاب إلى الإقناع والإدعان، ويحصرها "بيрман" في تقنيتي الوصل والفصل<sup>٧٠</sup>، ف"بيрман" يركز على بنية الحجاج بدراسة كل الحجج التي يمكن إقامتها للإقناع ويهتم كذلك بالكيفية التي يتم بها التواصل مع المجتمع حيث يركز الحجاج على « الأمور الداخلة في بنيته الموصلة إلى الإقناع كالأمثلة الجاهزة والجمل الوعظية أو الإشارية التي تؤدي هدفا في اللحظة الحجاجية في البنى القولية الخطابية»<sup>٧١</sup>.

<sup>٦٩</sup> ينظر، محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيрман وتطوره في البلاغة المعاصرة، ص: ٦١

<sup>٧٠</sup> ينظر، عبد الله صولة ، الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال : مصنف في الحجاج \_ الخطابة الجديدة لبيрман وتتيكا، ص: ٣٢٤

<sup>٧١</sup> محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيрман وتطوره في البلاغة المعاصرة، ص: ٦٥

المقارنة بين آليات تشكل الخطاب الحجاجي عند كل من الجاحظ وبيрман :

من خلال عرضنا لمفهوم الحجاج لدى "الجاحظ" في نظرية البيان التراثية ، ولدى "بيрман" في نظرية البرهان

نصل إلى النقاط التالية:

بيрман	الجاحظ
غاية الحجاج عند "بيрман" إقناع المتلقي واستمالته ، من خلال دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للفروض التي تقدم لهم.	أرسى الجاحظ في نظرية البيان الآليات التواصلية والتقنيات الخطابية التي تمكن الخطيب المتكلم من التواصل الجيد مع مستمعه ومن ثمة إقناعه
يدفع الحجاج إلى التأثير ثم العمل.	إن الغاية القصوى عند "الجاحظ" مع الخطاب الإقناعي الشفوي ، وهو إقناع تقدم فيه الغاية ( الإقناع ) على الوسيلة ( اللغة )
لا حجاج دون وجود جمهور يرمي الخطاب إلى جعله يقتنع ويصدق على ما يعرض عليه.	ضرورة معرفة أقدار السامعين ومراعاة أحوالهم ، وتقسيم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، وأقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات..
تتأسس العملية الحجاجية التخاطبية لدى "بيрман" على ثلاثة ركائز: المتكلم/ المستمع/ الخطاب.	الهدف الأسمى من مراعاة المخاطب والمقام هو الفهم والإفهام
استمالة المستمع وإقناعه تقتضي العناية بأفكاره ومشاعره وأحواله.	الانتقال من إقامة التواصل وتحقيق الفهم والإفهام إلى الوعي بأهمية الوسائل ومسالك الأداء
اهتم "بيрман" في نظريته بمظاهر التواصل والتجاوب ( خطاب مكتوب، مقروء، إشاري)	يقرن مفهوم البيان في تصور الجاحظ بوظيفتي الفهم والإفهام بالوسائل المختلفة: الوسائل اللغوية والإشارية خاصة
يعد المستمع أحد أهم مقومات نظرية "بيрман" البلاغية ومعرفة مستوياتهم المختلفة ( الاجتماعية/ السياسية/ الفكرية) ضرورة لتهيئة أرضية الإقناع ولهذا تختلف الخطابات بناء على وضعية المستمع.	يتركز البيان في تصور "الجاحظ" بالبعد الحجاجي، وذلك من خلال زاوية القول ، حيث يؤدي هذا الأخير وظيفتين يتجلى ضمنها الطابع الحجاجي وهما: الإفهام والإقناع.
	ركز "الجاحظ" على توفر الخطيب على مؤهلات وصفات مقنعة

ومستميلة، وخلق أدائه من المعوقات التي تحول دون ذلك لإتمام الرسالة الإقناعية.
--

وفي الأخير ينبغي التأكيد على أن الحجاج عند "الجاحظ" أو عند "بيрман" مرتبط بسياق تاريخي وثقافي خاص ، فلا يمكن الجزم أو ادعاء التأثير والتأثير ، لأن للعرب سياقا يختلف عن الغرب ، لكننا نلمس أن هناك تلاقيا في الأفكار ، انطلاقا من كون الحجاج مقترنا ببنية اللغة الحجاجية ، وعلى هذا الأساس يمكننا النظر إلى اسهامات "الجاحظ" و"بيрман" من منطلق أنه جهد إنساني .

### المراجع العربية:

- إيف جانري ، نظرية المحاجة . اكتشاف جديد وخصب، ت:محمد يحياتن، مجلة اللغة والأدب ، دار الحكمة، ع11، الجزائر، 1977
- الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر) البيان والتبيين، وضع حواشيه موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية ، لبنان ، مج 1\_2\_ط2، 2003
- حبيب أعراب ، الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ، دراسات نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة، مجموعة من المؤلفين ، إشراف: حافظ اسماعيل علوي، دار الروافد الثقافية ، لبنان ، منشورات ابن النديم ، الجزائر، ط1، 2013
- حسن خميس الملخ، الحجاج في الدرس النحوي، مجلة عالم الفكر، ع2، م40، أكتوبر ديسمبر 2011
- الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل نموذجاً، مجلة اللغة والأدب ، دار الحكمة ، الجزائر، ع14، سبتمبر 1999
- الحسين بنو هاشم ، نظرية الحجاج عند شايمم بيرمان ، ، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان\_بيروت، ط2014
- رضوان الرقي، الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، ع2، م40، أكتوبر ديسمبر 2011

- \_\_ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر القديم من الجاهلية إلى القرن الثالث الهجري، عالم الكتب الحديث ، الأردن، ط ١، ٢٠٠٧
- \_\_ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ، صفر ١٤١٣ أغسطس / آب ١٩٩٢
- \_\_ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١٩٩٨، ١
- \_\_ عبد اللطيف عادل، بلاغة الاقناع في المناظرة ، منشورات ضفاف ، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٣
- \_\_ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا/لبنان، ط١، مارس ٢٠٠٤
- \_\_ علي بوملحم، رسائل الجاحظ، الرسائل السياسية، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط١٩٩١، ٢، ص: ٣٨٠
- \_\_ فيليب بروطون، الحجاج في التواصل، تر: محمد مشبال وعبد الواحد التهامي العلمي ، المركز القومي للترجمة، مصر، ط١، ٢٠١٣
- \_\_ كورنيليا فون راد صكوجي، الحجاج في المقام المدرسي، وحدة البحث في تحليل الخطاب ، منشورات كلية الآداب ، منوبة ، تونس ، ٢٠٠٣
- \_\_ محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج٢٨، ٣٤، مارس ٢٠٠٠
- \_\_ محمد مشبال، البلاغة والسرد جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الملك السعودي، تطوان، المغرب، ط١، ٢٠١٠ .
- \_\_ محمد عابد الجابري، نقد العقل العربي(٢) بنية العقل العربي\_\_ دراسة تحليلية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت\_\_ لبنان، ط٩، ٢٠٠٩
- \_\_ محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، افريقيا الشرق، المغرب\_\_ لبنان، د، ط، ١٩٩٩ .
- \_\_ محمد هيثم غزوة، البلاغة عند المعتزلة، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة دمشق، ١٩٩٣

- \_ ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر، بيروت\_ لبنان، ط٢، ٢م، مادة (حجج)، ١٩٩٧
- \_ محمد ولد الأمين، حجاجة التأويل في البلاغة المعاصرة، طرابلس ، المركز العالمي لدراسات أبحاث الكتاب الأخضر، ط١، ٢٠٠٤
- \_ محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، منشورات دار الأمان ، الرباط، المغرب، ط١، ٢٠٠٥
- \_ نعمان بوقرة، نظرية الحجاج، مجلة الموقف الأدبي، ع: ٧٠٧، دمشق ٢٠٠٥
- \_ نعيمة يعمران، الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري ، ٢٠١١\_٢٠١٢

#### المراجع الأجنبية :

- \_ ch , perlman, lempire, rhétorique, libraire philosophique .J.Vrin, France , ٢٥(ED) , ١٩٧٧ , ٢٠٠٢
- \_ ch . perlman, traité de l'argumentation, lucie olbrechts\_ tyteca, ed de l'universite de bruxelles, éd ٦, ٢٠٠٨
- \_ Cambrige advanced learners, cambrige university press, ٢eme pub, ٢٠٠٤
- \_ le Grand Robert , Dictionnaire de langue francais , ١er rédaction , paris, ١٩٨٩
- \_ Michel Mayer, histoire de la rhétorique des grecs à nos jour livre de poche , paris, ١٩٩٩
- \_ Michel Mayer, logique , langage et argumentation, édition , hachell, université , ١٩٨٢, ٢eme , paris, p : ١٣٧